مؤنس السرّاز

تطوّر نظرة البعث إلى الاستعمار والرّجعيّة عبر القضيّة الفلسطينيّة من بداية الأربعينات إلى بداية الستينات

منذ بداية الاربعينات ، اخذت افكار حزب البعث العربي الاشتراكي تبرز عبر ادبيات مجموعة شابة مثقفة التقت في دمشق حول ما عرف باسم المكتب العربي . وهذه المجموعة هي التي شكلت نواة الحزب عندما امكن قيامه رسميا في العام ١٩٤٧ . ويجد المتتبع لنشاط المجموعة ، ثم المكتب العربي ، ثم الحزب ، ولادبياتها ان الحزب اخذ يبشر منذ البداية ويناضل من اجل استقلال كل الاقطار العربية في دولة واحدة ، بالرغم من انطلاقته في سوريا وحدها . وقد وضع الحزب مطلب الاستقلال هذا مقرونا بالوحدة العربية في مقدمة اهدافه . ومع ذلك ، يمكن للمتتبع ان يلاحظ كيف ركز الحزب نفسه بصفة خاصة على قضية استقلال ووحدة اقطار سوريا الطبيعية ، واولاها اهتماما متميزا .

وفي بيان اصدره الحزب ، في العام ١٩٤٥ ، بعنوان « مشاكل العرب السياسية » يتضح سداد هذه الملاحظة ، فهو يتحدث عن استقلال الاقطار العربية ليعتبر احتلال بريطانيا لشرق الاردن ، وفصلها هي وفلسطين عن سوريا الطبيعية اعتداء صريحا على سيادة الشعب العربي ووحدته القومية ، ثم ليؤكد « ان السبيل الوحيد لتخفيف آثار هذا الاعتداء ... هو ان تسرع انكلترا بسحب جيوشها من شرق الاردن ، وترفع عنه كل القيود التي كبلت بها حريته وسيادته وكل الحواجز التي اصطنعتها لفصله ، هو وفلسطين ، عن امهما سوريا » . ثم يسجل الحزب رأيه في موضوع وحدة سوريا الطبيعية ، او سوريا الكبرى ، كما شاعت تسميتها في ذلك الوقت ، على اساس ان توحيدها هو « من قبيل ارجاع الحق الى نصابه ، ولا نقبل ان ندخل ، في سبيل تحقيق هذا التوحيد ، اية مساومة يمكن ان تؤدي الى تنازلنا عن اي حق من حقوقنا الازلية في عروبة فلسطين ووحدة ارضها وسلامتها او في اي جزء من اجزاء سوريا العربية » . لينتقل بعد ذلك الى التأكيد على ان وحدة سوريا الطبيعية هذه مع العراق هي « الخطوة الجدية الحاسمة في طريق الوحدة العربية »[١] .

يتضح من هذا ان حزب البعث ــ في سنواته الاولى ــ كان يركز على وجود سوريا الطبيعية ، ويرى فلسطين من خلالها ، ويدعو للنضال من اجل استعادة وحدتها ، كما يركز على